دفائن الخزائن

تذكرة ابن العديم

من اشهر ما عرف من المجاميع باسم « التذكرة » تذكرة ابن حمدون الكاتب البغدادي (٤٩٥ — ٥٩٢ = ١١٠١ — ١١٩٥) رتّبها على خمسين باباً طُبع منها الباب الثاني في الادب والسياسة في ستة فصول ، في مطبعة النهضة بالقاهرة ، سنة ١٣٤٥/١٩٢٧ . ولا تزال بقية الاجزاء مخطوطة متفرقة في الخزائن الشرقية والغربية ، وصفها كاتب چلبي بقوله : « انها مجموعة من احسن المجاميع جمع فيها التاريخ والادب والاشعار والنوادر »[1] . وتليها في الامتاع والاتساع تذكرة صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ (١٣٦٢ م) ومنها اربعة مجلدات رقم ٤٢٠ (ادب) في دار الكتب المصرية . وفي كشف الظنون ان الاصل في ثلاثين مجلدًا « جمع فيها نوادر الامثال والاشعار ولطائف الاديبات نظماً ونثراً »[2] . ولكن يستفاد من قول الصفدي نفسه في الاجازة الملحقة في آخر كتابه « الحسن الصريح في متة مليح » المخطوط بقلمه في دار الكتب المصرية (رقم ٥١٢٠ ادب) ان التذكرة بتاريخ ثالث شوال سنة خمسة واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) كانت اربعة وعشرين مجلدًا فقط . وقد طالعنا في الدار هذه المجلدات الاربعة ولم نجد ما يُحتفظ به منها سوى بعض ابيات في الجزءين الثالث عشر والرابع عشر . ولكن عثرنا في الجزء الثامن والاربعين على ارجوزة له جامعة كان نظمها قبلًا في ذكر من تولى امر دمشق من الخلفاء والملوك والنواب ودعاها « تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » (ص ١٤٥ — ١٦٥) وهي تصلح لمعارضة النسختين الموجودتين من هذه الارجوزة في خزانتي باريس وبطرسبرج . وتليها في التذكرة « رسالة تشتمل على ذكر من ولي امرة دمشق المحروسة في الاسلام

١) كشف الظنون ، طبعة اروبة ، ٢٥٥-٢٥٦

٢) » » » » ٢٦٢

او دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» (ص ١٦٦ – ١٨٩) ولا نعرف لهذه الرسالة نسخة اخرى .

وقد اسعدنا التوفيق بالوقوف في دار الكتب المصرية ايضاً على نسخة مصوّرة عن الاصل بعنوان « تذكرة ابن العديم » بخط المؤلف ، كما يستدلّ من الورقة ١٧٦[1] . وهي في مجلد ضخم في ٤١٠ ورقات (رقم ٨٠٦٩ ادب) اوله الجزء الخامس وآخره الجزء السادس عشر فيكون الناقص منه اربعة اجزاء فقط . وابن العديم هو كمال الدين ابو حفص عمر بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠/١٢٦١ – ١٢٦٢ مؤلف كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » . ومنه نسختان في خزانتي باريس وبريتيش موزيوم .

ولم نهتدِ الى من تكلم على تذكرة ابن العديم بين مؤلفي كتب التاريخ والتراجم والاديبات . ولعلّ إغفالها كان لندرة نسخها او انها بقيت مسودة للمصنف يدوّن فيها احسن ما قرأه في مطالعاته من الاخبار والنوادر والاشعار او سمعه من والده وشيوخه من الملح والطرائف . وهو كثيراً ما ينقل من خطوط الرواة بغاية الضبط والامانة . ولذلك اقبلنا على تصفح تذكرته بمزيد الانتباه والشوق ورغبنا عن كل خبر او شعر مبتذل كالمدح والغزل لا يتميز بظرف او جدّة وغرابة . وهذا ما وقع عليه اختيارنا العاجل في الاجزاء الاثني عشر الباقية من التذكرة نورده جزءاً جزءاً على التوالي ، على امل ان لا يخلو من فائدة وعائدة . واكثره أُنُفٌ لم يُستخرج او لم يشتهر شهرة كافية .

واول ما افتتح به ابن العديم كتابه بعض حماقات كانت تنسب في ايامه لاهل حمص ، وكنا نشرنا في « الخزانة الشرقية » في الجزء الثالث مقالة بعنوان : « الخرافات الموضوعة على مجاذيب حمص قديماً » (ص ١ – ١٤) فلا نتمالك اليوم من ان نضم اليها ما يجيء.[2] قال ابن العديم :

---

١) اذا صحّ هذا الاستدلال يتبين ان خط ابن العديم لم يكن مقارباً لخط ابن هلال وابن مقلة كما زعموا .

٢) جاء ايضاً في كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر لابي اسحق الغيرواني : « قال علي بن عيسى الوزير : كان يبلغني عن اهل حمص تغفّل فاظن اكثره تشنيعاً حتى دخلتها فاذا برجل بين يدي حجّام وقد مصّ عنقه بمحجمتين لم أرَ اكبر منهما وهو يشرط في وسط عنقه

— « قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعيبة الحلبي » :

حكى لي ابو غانم عشاير بن كامل من اهل معرة النعمان انه اجتاز بحمص سنة ثلث وخمسمائة وقد طهر القاضي السديد جمال القضاة ابو الحسن علي بن هندي ابنة له وعبرت في سوق حمص راكبة على فرس على مخدة فوق السرج ومن خلفها راكب يمسكها وقدامها البوقات والطبول وغير ذلك مما يكون بين يدي المطهَّرين. فرأيت اثبات هذه النكتة وكنا بحمص فلتعتبر . وشاهدت هذا القاضي فوجدت مرتبته تزيد على ما ذكره وحكاه اعاذه الله مما ابتلاه .

— ونقلت من خطه ايضاً :

دخلت الى حمص في شهر رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة وهي السنة التي نزل عليها فيها صاحب دمشق ورعى زروعها وخرب حصونها فحكى لي رجل يعرف بعبد الواحد ثقة من اهل حمص عند ملكها حسام الدين ان احد اهلها لما نزل العسكر عليها واجفل الناس (ص ٢) واشتغلوا عن قماشهم الا ما خفّ منه كان في الليل يدور ومعه زقّ على دور الناس فيحمل من النبيذ ما وجده ويعود الى بيته فيصبّه في البير الى ان نقل ما يزيد على ثلثمائة خابية منه فلما رحل العسكر عنها وعاد الناس الى منازلهم وفقدوا النبيذ تحدث بعضهم مع بعض فهذا يقول أخذ لي من داري خمس خوابي نبيذ وهذا يقول اخذ لي ثلاث وهذا يقول اكثر وذاك اقل فقال ذلك السيد لجيرانه : عندي من النبيذ ما أبيعكم منه سنة لا تشغلوا قلوبكم وهو ممزوج فقالوا له : اننا نخاف عليه ان يحمض ويتغير لاجل مزاجه فأرنا منه شيئاً فاستقى لهم من البير بالدلو وحمله اليهم فشربوه فاذا هو ماء. فقالوا له : ما هذا ؟ فحدثهم فضحكوا منه . وقال لهم : تعبنا وافسدنا صومنا ولم نربح شيئاً .

فلما رآني اقبلت في موكب قال : من هذا ؟ فقال الحجام : هذا الوزير علي بن عيسى فقام والمحجمة في عنقه والدم يسيل على كتفيه وظهره وقال : السلام عليك ايش كان خبرك ايها الوزير ؟ قلت : خيراً وانصرفت فحلفت ان لا ادخل حمص ونزلت بظاهرها حتى انجزت ما اتيت فيه» (ص ٢٩١)

وفي حكاية ابي القاسم البغدادي :

حماةٌ مني ومد كنتُ لي حماةٌ تمرض حصبةً (ص ١٢٧)

فتحققت ما ذكره الحافظ من فساد عقول اهل حمص وأضفتها الى خبر القاضي (ص ٣)

وقرأت بخطه :

وصل من حمص الحاجب ابرهيم رسولاً من مالكها الى حلب في شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة وصحبته بعض قضاتها فضيت اليه افتقده واقضي حقه وهو في دار الضيافة . فوجدته راكباً والقاضي في الدار فسلمت عليه وهنأته بالسلامة وسألته عن ولد لي خلفته بحمص ينوب عني في حفظ الاهراء بها فقال : هو على جملة السلامة في شغله كما تعرف فقلت : فقد عرفت ذاك لكنه لا فائدة له ولا جامكية وهذا صعب شديد فقال : « قد عرفت ما هو عليهم » بإعراب فقلت : ما قلتَ يا ولاي القاضي ؟ فقال : قد عرفتَ ما هو عليهم ثانية . ففكرت فاذا هو يريد « ما هم عليه » ولا فرق عنده بين اللفظين . فرأيت ان أثبتها في التذكرة وأضيفها الى خبر القاضي السديد وطوز ابنته .

هذا ما نقلته من خط ابن اللعيبة . وحكى لي شيخ من اهلها يقال له الرضى اسماعيل بن عشاير شيخ حسن صدوق عن معلم بحمص يقال له العبث قال وكان معلمي وكان يُتهم ... (ص ٤) (وبعد هذه العبارة نقص لا يدرى مقداره) .

— قرأت على ظهر كتاب بخط بعض اهل الادب : انشدني ابو الفضل المعمر ابن الحسين الصائغ لبعض اهل العراق وقد ورد على سيف الدولة بلح هدية وانشده شعراً فيه :

قبول الهدية اكرومة ... وحاشى الامير يردّ الكرمْ
وان الملوك على قدرها ... لتقبل نثابة او قلم
واني اتيت ببدو الطعام ... وخاتمه عندما يُختمْ
وهذا لعمرك جهد المقلّ ... لمن قد تمكن منه الندم (ص ٦)

الجزء السادس

— محمد بن بشير :

خلوتُ في البيت ارضى بالذي رضيت ... به المقادير لا شكوى ولا شنبُ
فردًا تحدثني الموتى وتنطق لي ... عن علم ما غاب عني عنهم الكتبُ
هم مؤنسون وألاف غنيت بهم ... فليس لي في انيس غيرهم ارَبُ

ف من حلماء لا جليسهم ولا عشيرهم للشر مرتقب
لا بادرات الادى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها اخرى الليالي على الايام واشعبوا
فيا اديب قوم مددت يدي اليه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار ترفعه الى النبيّ ثقات خبرة نجب
او شئت من عرب علماً بأولهم في الجاهلية انتهى به العرب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرهم حقب (ص٩)

— انبأني غير واحد من شيوخي عن ابي طاهر السلفي قال انشدني ابو الثناء حامد بن ثابت الغزي بالاسكندرية انشدني ابرهيم بن صدقة لابن معصمة الحمصي في الديك:

يا ابن اقبال وائل والكرام العيد من نخلب قروم القروم
والامير الذي عليه امارات المعا لي من حادث وقديم
قد مدحت الامير بالامس منثو راً وجئت الغداة بالمنظوم
فاستمع قصتي وفرّج باحسا نك ما بي من طارقات الهموم
بي ديك حضته وهو في البيضة من منصب كريم الجيم
ثم ربيته كتربية الطفل رضيعاً وعند حال الفطيم (ص١٤)
يأكل التمر كيف ما شاء من مالي كأكل الوصيّ مال اليتيم
وهو عندي في صورة الولد البرّ وفي صورة الشقيق الحميم
ابيض اللون اشرق النور فيه نظّار بين كأنها عين ريم
وعلى نحره وشاحان من شذ ر جيج ولؤلؤ منظوم
رافع راية من الذهب المشرق يسمى بها كعبي الظليم
واذا ما مشى التهلّل مشي الطرق المتشي من الخرطوم
وسم الارض وسم طيّ كتاب بخواتيم كاتب مختوم
وله خنجران في قصب الما قين قد ركّبا لحفظ الخريم
وعليه من ريشه طيلسان صيغ من صنعة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حمص له بالجلال والتعظيم
يتجاوبنَ بالصياح مشيرا تٍ اليه في ذلك التسليم (ص١٥)
واذا ما رأيته بين خمس من دجاجاته كبار الجسوم
قلت ملك يخدمه فتيات يتهادينَ بين زنج وروم
وترى عرفه فتحسبه التا جَ على رأس كمروي كرم
ثاقب العلم بالمواقيت ليلا ونهاراً وحاذق بالنجوم
وبحث الخبير ان حولي على البرّ كحثّ المدير كاس الندم
واذا قمتُ للصلاة دعوت الله بالعزّ والنعيم المقيم
لشريف ابي المعالي بن سيف الدو لة السيد الكريم الرحيم

وله ايضا الامير علي العبد في سالف الزمان القديم
انه آمن من السوء عندي غير يوم المتيّة المحتوم
وقد احتجت ان اضحي في العيد به حاجة الاديب العديم
وبناتي يقلن يا أبتانا انت في ذاك بين غدر ولوم (ص ١٦)
وتراهنّ حوله يتباكينّ بدمع الفقده مسجوم
وعزيز سؤال من يفتديه فافده منهنّ بذبح عظيم
تبقى في ذاك سنّة لبني ذكرها ذكر كبش ابرهيم
عشت في العزّ ما دعا الله داعٍ ابدًا بين زمزم والحطيم

(وفي الهامش) : ونظير ذلك ما يحكى عن ابن الراوندي لما نادى الخليفة : كل من يضحي يربط ضحيته على بابه فربط على بابه ديكاً فر الخليفة فرآه فسأل عن ذلك فقيل له لا يملك سواه فامر ان يربط الى جانبه كبشان فعمد ابن الراوندي الى الديك وربط رجليه وتزل عليه بعصاه فسئل عن ذلك فقال الذبيح فُدي بكبش وهذا فُدي بكبشين . فمُدّ ذلك من ملحه . (ص ١٧)

قال عمرو بن بحر : جزت بباب بعض عدول بغداد وهو يخاصم جاريته ويقول لها : تركتِ قلنسوتي على قفص الفاختة حتى تخرا عليها . فقالت الجارية لم اعلم يا مولاي ان الفاختة تحولت فوّارة فقال لها الشيخ : انتِ حرّة ان اويت منزلي بعدها او لابيعنك بدرهم يا زنديقة . (ص ٣١)

الجزء السابع

— انشدنا ابو بحر صفوان بن ادريس لنفسه :

هذي البسيطة كاعب ابرادها حلل الربيع وحليها الازهارُ
وكأنّ هذا الجوّ فيها عاشق قد شفّه التعذيب والإضرارُ
فاذا شكا فالغاب برق خافق واذا بكى فدموعه الامطارُ
فافرط ذلّة ذا وعزّة هذه يبكي الغمام ويبسم النوّارُ (ص ٥١)

قيل ان الشيخ ابا بكر الرازي خرج الى سوق العطارين فاشترى سكرًا فرآه احد اصحابه وهو ابن الركاب الرازي فوقف حذاءه حتى فرغ من شراه وشدّه في ميزره (ص ٥٨) مدّ يده ليأخذه فقال له الشيخ ابو بكر تريد منه شيئاً ؟ فقال لا ولكن احمله معك . فقال له : ما تحتاج فاني احمله انا في كمي وانشد :

لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع الى عياله (ص ٥٩)

— للسابق بن ابي مهزول المعرّي مما نقلته من خطه :

حلب معهد الصبى والتصابي فسقاها الوسميّ ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتريُّ
بلدة هذّبت فاه زلال وهواء ردائه سابريُّ
وطعام زاكٍ وراح سلاف ورياض بباطها عبقريُّ
وظباء انيسة وبدور ووجوه معشوقة وقُمريُّ
فاديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعيُّ والفلسفيُّ (ص ٧٣)

الجزء الثامن

— انشدني والدي رحمه الله لبعضهم :

لعمرك ان حفات الفتى اذا الدهر ساعده ساعدوا
وان حانه دهره اسلموه ولم يبقَ منهم له واحدُ
ولو كان يعلم ان المريض يموت لما عاده عائدُ (ص ٩٤)

— انشدني بعض المصريين لابن افلح في خليفة عصره وقد وقع له توقيعاً (ص ٩٥) الى الوزير فلم يتلقّه بالقبول :

خليفة الله قد وقعت لي كرماً الى الوزير ولكن من يتمّمهُ
فكل من جئتهُ بالصك ينبذه بذ الحصاة كأن الصك يشتمهُ
فآهٍ ان كان هذا قد علمتَ به وآهٍ ان كان هذا لست تعلمهُ (ص ٩٦)

— نقلت بخط بعض المتقدمين عن ظهر كتاب :

كان والد الشيخ ابي عبدالله بن المنيّة حائكاً اسمه يوسف فمضى الى بغداد وقرأ بها العلم وعاد الى كفرطاب فقعد يعلم الصبيان ويقرئ القرآن . وكان اذ ذاك بكفرطاب معلم يعرف بابن الأُصيلح وكان بينهما (ص ٩٧) من المباينة والمشاحنة كما جرت العادة ان يكون بين المعلمين . فعمل ابن الاصيلح هذه الابيات :

ايُّ عقلٍ لحائك في الانام لا ولو قيدَ غوه بزمامِ
نصفه نازل مع الجنّ في البحر وباقيه قاعد من قيامِ

فبلغت يوسف فعمل فيه :

ما طمار بين المثاقفين اقل عثاراً من معلّمِ
ولقد دخلنا في الصناعة من قريب ربّ سلّمْ (ص ٩٨)

— كان والدي رحمه الله قد اخبرني ان مرتضى الدولة لما قصده صالح بن مرداس تأهب له وجمع العسكر واهل حلب حتى اخرج معه اليهود والنصارى.

وان عسكر صالح وصل الى اطراف عسكر ابن لولو فسمعوا يهودياً يخاطب آخر وهو يقول له : والِيكِ حُفيظة اطوزُه واتأخرُ وايالك يكرن خلفه آخر يطزك بطازه يُخيّب بيتك الى الدواغيث (ص ١٠٢) وهذه الفاظ يستعملها اليهود فيما بينهم . قال فلما سمع اصحاب صالح ذلك طمعوا فيهم وقالوا : هؤلاء يهود وكبسوهم فقتلوا مقتلة عظيمة ولم يدخل البلد الا القليل .

قال لي والدي : بلغني ان بعض من سلم دخل حلب فنظرته امرأة من طاق دارها فقالت له : دُبير رجعت ؟ فقال لها : دُبير من لم يرجع (ص ١٠٣)

— سمعنا ابا العلاء بن ابي عبيد الله بن ابي الندى ينشد لنفسه في صبي مملوك دخل المدرسة مع الاولاد عليه لباس اخضر . فاقترح عليه ان يعمل فيه شعراً فقال فيه بديهاً :

وموقف فاق الهلال جماله وقوامه ازرى بغصن البانِ
انكرته لما بدا في خضرةٍ فاجاب تلك ملابس الاغصانِ (ص ١٠٤)

— لابي منصور الديلمي في ولده :

ديلموه وليس فيه من الديلم الا القبا مع الكلكات
فهو في شيبه فتىً شرس الخُلق وفي خلقه فتى الفتيات
ترسه حسنه وزُرينه عيناه فهو الممات قبل الممات (ص ١١٣)

— ولابي محمد عبد المنعم بن سعيد وانشدنيها ولده في صاحب لحية :

له لحية يغضي بديع جمالها على من لها فيها بان يجلد الحدّا
وعهدي بها كانت عذاراً منشأً فمن اجل ذا قد صرت ارعى لها العهدا
وكم قائل في ساقه الشعر نابت وذلك مما يوجب الهجر والصدّا
فقلت له يا انقص الناس همةً واسخفهم رأياً واخطأهم قصدا
الم ترَ ان الغانيات تشبهاً جعلن مكان الشعر نقشاً وما اجدى (ص١٢٦)

الجزء التاسع

— اخبرني ابو الفضل بن سندي قال بلغني ان الناشئ الأحمي وكان من قرية الاحص انشد سيف الدولة بن حمدان قصيدة يمدحه بها ولم يكن عنده حينئذ مال فوعده بالجائزة اذا وصل اليه الحمل اظنه من البلاد الشرقية فخرج من (ص ١٦٢) بين يديه فوجد على باب داره كلاباً مربوطة من كلاب الصيد

يذبح لها الشخال عند الولادة وتطعم اياها فعاد الى سيف الدولة وانشده :

رأيت بباب داركم كلاباً مكرّمة يُغذّين الشخالا
فهل في الارض اعذر من اديب يكون الكلب اصلح منه حالا

ثم خرج الى الاحصّ الى منزله . فاتفق ان جاء الحمل لسيف الدولة بعد مدة فضلّ في الليل بغل عليه مال مقداره عشرة آلاف دينار فجاء الى باب دار الناشئ وفيه قش فظن انه لص فخرج فوجده بغلًا فاخذ المال وطرد البغل ثم دخل الى حلب ودخل الى سيف الدولة وانشده ابياتاً منها :

ومن ظنّ ان الرزق يأتي بحيلة فقد كذبته نفسه وهو آثم
يقوت الذي من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم (ص ١٦٢)

فقال له سيف الدولة : وصل البغل اليك يا ناشئ ؟ فقال نعم . فقال خذه جائزتك . فقيل لسيف الدولة : كيف علم الامير بذلك ؟ فقال : ابن قوله : « يأتي رزقه وهو نائم » من قوله : « يكون الكلب اصلح منه حالاً »[1]

الجزء الحادي عشر

— قرأت بخط ابن منير ابن انلح البغدادي يقوله لدُبيس بن مزيد .

والله او كتب الامـا م لك الامان بماء زمزمْ (ص ٢٠٥)
والله محمـد شـافعاً من بعده عيسى بن مريمْ
مـا كنت الا داخل الحـمام امرة من تقدم

(وفي الهامش) من عادة الخلفاء اذا غضبوا عـلى الوزراء حبسوهم في الحمام (ص ٢٠٦)

— حدثني الشيخ ابو عبـدالله محمد بن ابي سعد الحلبي قال : سمعت الشيخ ربيع بن محمود الماردديني يقول :

جاء في بعض السنين حاج السرو قال ومن عادتهم انهم يخرجون متفرقين فمنهم من يخرج قبل رجب ومنهم من يخرج بعده فتقـدم منهم قفل في بعض السنين الى مكة . فخرجت معهم امرأة وهي حامل واخذت فروها وعصاها على كتفها وجرابها وركبتها على الكتف الاخرى . قال : فلما توسطوا الطريق

١) وردت هذه الحكاية في ياقوت في كلامه على « الاحصّ » وهي هنا اصح واتم .

ادركها الطلق في بعض الطريق فلجأت الى شجرة فوضعت ابناً وماتت ودفنوها وبقي الابن ليس له من يرضعه فافكروا في امره فلم يكن له حيلة فاخذوه ولفّوه بالفرو الذي كان لامه وتركوه تحت الشجرة (ص ٢١٨) ومضوا فلما قضوا حجهم وعادوا اجتازوا بذلك المكان فقالوا : ههنا ماتت فلانة وههنا تركنا ولدها فهلموا لننظر ما كان منه فجاؤوا الى المكان الذي تركوه به فوجدوه حياً وعيناه تبصان وهو ملفوف على الحالة التي تركوه فعجبوا من امره وقالوا نحمله معنا فحملوه فالتفتوا عن قريب من ذلك المكان فرأوا ظبية قد تبعتهم وهي تمشي خلفهم فوضعوا الصغير على الطريق وابعدوا عنه فجاءت الظبية اليه وارضعته حتى شبع فجاؤوا اليه وحملوه وساروا والظبية خلفهم كلما احتاج الظبي الى الرضاع وضعوه لها وهي ترضعه هكذا مرحلة مرحلة الى ان وصلوا الى القرية التي كانوا منها فرجعت الظبية وتركتهم (ص ٢١٩)

الجزء الثاني عشر

— دخل لص على حميد بن علي الختاني (قرية من قرى المعرّة يقال لها ختان) فسرقه (ص ٢٥٣) ولم يعلم الوالي فلما علم استدعاه وحبسه اذ لم يعلمه فعمل له هذه الابيات :

قل للامير ابن كثير الذي فاق الورى في العلم والعقل
وفارس الخيلين يوم الوغى ومغرس الاحسان والفضل
جرت امور ما سمعنا بها في زمن الانصاف والعدل
اللص في منزله آمن والحبس فيه صاحب الرحل
لو جاز هذا الحكم بين الورى لطولب المقتول بالقتل

فلما انشده اياها اطلقه (ص ٢٥٤)

الجزء الرابع عشر

— انشدني عز الدين علي بن محمد السرخسي البغدادي النحوي قال: رأيت ببغداد على ثوب اصفر : (ص ٣٨٥)

انظر الى لابسي وانظر الي وكن من مثل ما حلّ بي منه على حذرِ
هذا اصفراري يراه الناظرون وما في القلب من حبه يخفى من النظرِ
اموت في خارة بالليل في كمد لولا انتظار وصال منه في السحرِ
اقول عُجبًا اذا ما رام يلبسني ما كنت اطمع ان اعلو على القمرِ (ص٢١٦)

(وبالهامش) هذه الابيات للمبارك الدهان قال : طلبت مني حظية من حظايا الخليفة ان اصنع لها ابياتاً تكتبها على ثوب اصفر فقلت .

— نقلت من خطّ الشيخ الامام ابي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي وانبأناه عنه شيخنا ابو اليمن الكندي انشدنا الشيخ الامام ابو زكريا يعني التبريزي قال : انشدنا الحكيم ابو علي الحسن بن عبد الرحمن الثقفي قال : انشدنا الشيخ ابو منصور عبد الملك اسماعيل الثعالبي لنفسه :

من كان ينفسه الادبْ وبُغيته اعلى الرتبْ
فلقد خسرت عليه ما وُرّثت من امّ وابْ
كم ضيغمٍ كانت تصو نُ الوجه عن ذلّ الطلبْ
اتلفتها لا في القيا نِ ولا هوى بنت العنبْ
بل في الجوائح والحوا دثِ والعوارض والنُوَبْ
كم قلت لما بتها وحصلت في اسر الكُرَبْ
ذهبت دجاجتنا التي كانت تبيض لنا الذهبْ

— ومن خطه وانشدنا يعني التبريزي قال انشدنيه ابن شبل لنفسه : (في الباذنجان)

وكأنما الباذنج سود حمائم اركارها خيم الربيع المبكر
لفطت مناقرها الزبرجد سمسماً فاستودعته حواصلاً من عنبرٍ (ص٢٤٢)

الجزء الخامس عشر

— محمد بن عبدون السوسي الوراق له من قصيدة وذكر اشتياقه وحنينه الى وطنه اولها :

بالله يا جبل المعكر دع ريح الجنوب لطالما تسري
يا قصر طارق الذي طرقت احشايَ منك بلابل الذكرِ
والله ما اقصرت عنكِ قلىً لكنني اقصرت بالقسرِ
يا برد ظلك بالاصيل ويا ريَّاك عند فظاظة الدهرِ

منها في ذكر معشوق له هناك :

ولثمتُ ثغرًا فاح عنبره من غير ما طيب ولا عطرِ
وضممت انفاسي عليه وقد اشفقت من نفسي الذي يسري
فكأنَّ صدري لا ضلوع له وكأنَّ قلبي بانَ عن صدري
لو استطاع سبحتُ من طرب شوقًا اليك (١ سواد ذا البحرِ
حتى اقبل جانبيك كما قبلت فيك مراشف البدرِ
وافيض اجفاني لديك كما فاضت عليك دماءها تذري (ص ٢٨٥)

الجزء السادس عشر

— انشد ملك النحاة لنفسه من ابيات يصف امرأة : (ملك النحاة ابو نزار الحسن بن ابي الحسن البغدادي)

جارية كلما خضعت لها قالت عدمتُ النحاة والشعرا
طويلة القد واللسان فما ادري أأهجو ام امدح القيصرا
احسن منها عندي بمدقّة(٢ ساذجة لوزها قد انتشرا
فالبن الفارسي اضرسني والكشك في ذي الديار قد كثرا (ص ٢٦٥)

— قال ملك النحاة : للحيص بيص بيتان وددت لو باعنيهما بجميع شعري وهما :

---

١) الكاف في اليك راجعة الى القصر
٢) في كتاب الوصلة الى الحبيب في دار الكتب المصرية (رقم ٧٦ علوم صناعية) وصف للمدققات ص ١٥٠ — ١٥٢ .

سأرحل من بغداد في طلب الغنى الى بلدة يحنو على اميرها
الى بلدة فيها الكلاب بحالها كلاب وما رُدَّت اليها امورها (٢١٤-٢١٥)

قلنا ومن هذه المختارات التي لم نستقص فيها ولم نتجاوز فيها الحد الذي رسمناه لنفسنا يتضح بُعد ما بين تذكرتي ابن حمدون والصفدي وتذكرة ابن العديم . وهي خالية من كل تبويب وتنويع وترتيب كما في التذكرتين . وقد امتزجت فيها النقول والروايات امتزاج الطُرَف بالدرر في غير سلك ولا نظام فكان ابن العديم يتلقط منها ما يقع عليه استحسانه وما يسمح به زمانه على هيئته حباً بالتذكر بها والرجوع اليها عند الحاجة فما كان احقه ان يسميها أسوة بالثعالبي : احسن ما قرأت وسمعت .